

من يقتل خمسين عربيا يخسر قرشنا ...

محمود درويش

فصل آخر من كتاب عن تجربة محمود درويش الاسرائيلية ، يصدر في الخريف القادم
عن مركز الابحاث .

هنا ينامون . أسماؤهم كثيرة وموتهم واحد . كانوا متعبين وكان الغروب صغيرا ،
فستقوا بسهولة ولم يقولوا شيئا لان الموعد كان مفاجئا . وماذا لو أحيطوا علما ؟
فألوصايا معهم . . والعائلة كلها عائدة من العمل ، والعالم ليس لهم .
هنا ينامون . نالوا عقابا على جريمة غامضة . لم يخرجوا في مظاهرة واحدة ، ولم
يدافعوا عن الحياة والتراب الا بالصلوات . كانوا يخرجون من البؤس في الصباح الباكر
ويعودون الى البؤس في الغروب الباكر . وكانوا ينتظرون المطر ، فجاءهم الموت في
غزارة المطر .

هنا ينامون . ويكبر الغروب ، ويتحول الى غابات من الشجر الجاف . لا وقت لذكراهم
ولا مناسبة ولا موعد . الحجارة هي الوقت ، وامتداد الغروب الذي لا لون له هو
الوقت . وماذا نسميهم ؟

ليست مذبحه كفرقاسم يوما للذكرى . وليست مرحلة يغلبها النسيان . انها تاريخ
كراهية ممتد منذ استل هرتسل سيفه من التوراة وأشهره في وجه الشرق . فسكان
هذه القرية المسحوقة المهمله لم يفعلوا شيئا يثير غضبه أحد ولو كان عدوا متطوعا .
ثم يقاتلوا الا الطبيعة القاسية والبؤس الاسود . فمن أجل ماذا ماتوا ؟ لم يموتوا من
أجلنا كثيرا . هم ضحايا لا شهداء . وتلك هي مأساتهم المزدوجة ، وذلك هو حزننا
المزدوج عليهم . بوسعنا ان نقول انهم ماتوا من أجل ان نعمق كراهيتنا للظلم
والاغتصاب . ومن أجل أن نعمق عبادتنا للارض . ولكننا لا نحتاج هذا البرهان
الضاري . اننا قادرون على تنمية حاسة الحب والكراهية بدون هذا الموت المجاني .
فمن أجل ماذا ماتوا إذن ؟ .

ليس من أجلنا ، بل من أجل القتلة . لكي يمتلىء الصهيوني بالاحساس بأنه قادر على
أن يمثل دورا في التاريخ غير دور الضحية . من أجل هذا البرهان يتلذذ بالقتل . « أما
أن اكون قاتلا وأما أن اكون قتيلا » . هذا هو الخيار الضيق الذي وضعه لنفسه . ان